

أصبحت المعرفة البشرية مقاربة بين ما هو ذاتي
وما هو حسي، وما هو مطلقاً ونسبي، وما هو عقلي وتجريبي،
وما هو حقيقي وإحقيقي، حيث باتت التجربة
والحقيقة والنظرية، معاً هيما متداخلة فيما بينها، مما
جعل الحديث عن أحدها يستلزم الحديث عن الآخر.
فالوصول إلى المعرفة يستدعي بالضرورة اتباع المنهج
التجريبي، الذي يعد ما، في المرحلة الكلاسيكية، كان يقتصر
على استقراء الطبيعة والإحصاءات واليهاف للخروج بخلاصة
موضوعية، أصبح يفهم العقل المبدع في مرحلة التجربة،
باعتبار أنها تحمل بالضرورة بداخلها فكرة متخيلة، تنتظر
الكشف عنها. بهذا، أصبحت التجربة تارة واقعية وتارة
تجريبية، بل وأنت تكاملهما وضع أساساً للعقلانية العلمية
المعاصرة، التي تقوم على اليقين المزدوج.
وفي هذا السياق، تحضر إشكالية مقومات النظرية العلمية،
التي تفرعت منها مجموعة من التساؤلات أهمها: كيف
يمكن تحديد مدى علمية النظرية العلمية؟

وكإجابة عن سؤالنا الإشكالي، يتبنى النظم النظرية
مفادها، كون قوة النظرية يكمن في مدى عمومها أمام
محاويلات تجديدها وتكديدها.
وقد اعتمد الكاتب في تفسير ذلك، على مجموعة من

البرادع تحت الأساسية ، أهمها الحقيقة ، وفي مذهب البحث
المعرفي ، يتعدد أنواعها حسب الموضوع ، فقد تكون موقف ،
نظرية ، رأياً أو بديهة . إلى جانب مفهوم النظرية ، أي
نتيجة البحث العلمي بعض ضووعه لمجموعة من المقومات
التي تؤكد مدى صحتها ، و مفهوم المقومات أي المعايير
أو المقاييس .

وقد اتبع صاحب النظم منهجية حسابية منظمة لعرضه
أفروجه ، بالاعتماد مجموعة من الأساليب التفسيرية . فابتدأ
بأسلوب النفي " لم يعد ... وإنما " ، ليثبت التغيير الذي طرأ
بين المرحلة الكلاسيكية و المرحلة المعاصرة ، حيث تم
الانتقال من مفهوم " المطلق " إلى " النسبي " ، حيث تحدى
مجموعة من الفلاسفة المعاصرين مثل أينسطين و
روني طوم ، المنهج التجريبي الكلاسيكي ، بإضافتهم لعنصر
الإبداع والخيال العلمي إلى مرحلة التجربة ، فأنقلت
الموازين ، و استبدلتها بالاحتمال . وقد استعمل
صاحب النظم أسلوب التوضيح ذلك ، تحلى في كشف خطأ
معادلات نيوتن من طرف أينسطين .

و لم ينفي صاحب النظم ، أن اعتبارنا لمعظم النظريات كونها
علمية ، ناتج أساساً على توفرها على نصيب (أكبر) من المقومات
أكبر من نصيب نظريات آخرها ، X موضح نقاش بين العلماء .
هذا النصيب إذن يعتبر معياراً آخر لجهة النظرية وفي حالة

X الشيء الذي
جعل هذه
الأخيرة

تساوي بين نظريتين ، النظرية الأضع بينهما هي تلك التي
لها عدد المشاكل أكثر من الأخرى ، ليكون هذا ، معياراً ثالثاً
لتقويم النظرية العلمية .
من خلال القراءة التحليلية لنص الإمتحان ، اكتشفنا ثلاثة
من المتسويات ، التي تبين مدى علمية نظرية ما ، فهل
توجد مقومات أخرى ؟

في إطار الفلسفة المعاصرة ، يجيش **بيير تويلي** ،
أن معيار تعدد الاختبارات معياراً أساسياً لتحديد مدى
صحة نظرية ما ، فنظراً لفكرة "الإمتحان" التي تصير
بها هذه الحقيقة الزمنية ، يؤكد هذا الفيلسوف أن
النظرية العلمية ليست متعزلة ومعزولة على نفسها ، لذا
وجب انفتاحها على معرفة من النظريات الأخرى ، في سبيل
تبيان مدى تماسكها ، وتحاسن أفكارها ، مما يساهم في
تطويرها خاصة ، وتطوير العلم عامة .

وفي نفس السياق ، نصر **أطروحة كارل بوبر** التي مفادها
معيار قابلية التكذيب ، يؤكد هذا الفيلسوف أن النظرية
ليست علمية إلا إذا قلقت جرماً قابلاً للمراجعة ، سواء من
طريق تجربة أو ملاحظة ، حتى وإن لم تتغير . فكون
نظرية ما قابلة للتكذيب ، لا يعني كونها خاطئة ،
فلا علم بدون أخطاء ، بل أنها قابلة للتجديد والتطوير ،
وإذا لم يكن لها أهمية المصيرية للعلم ، كما أكد **كارل بوبر** ،
أن هذا المعيار الأساسي للبحث في تطور النظرية ،
وتبيان نقط ضعفها ، مما يمكن فيما بعد من الإحتراك
من الصواب .

من هذا ، وذلك ، نجد أن مقومات النظرية العلمية
تختلف من عالم إلى آخر ، ومن مرحلة زمنية إلى أخرى ،
إلى أن نصل إلى ، لا يمكن اعتبار نظرية ما علمية ، إلا إذا

حققت أكبر قدر ممكن من المعايير في نفس الوقت ، فمدى
تماثل أفكار هذه النظرية ، يتبين في مدى انسجام
المعايير مع بعضها البعض ، دون خوف أو التباس .

على ضوء تحليلنا هذا ، يمكن اعتبار النظرية
العلمية ، باعتبارها نتيجة بحث معرفي يتبع المنهج
التجريبي ، حقيقة علمية ، مستمدة من خلال مجموعة
من المقومات التي تؤكد صحتها ، فما هي إذن القيمة الأكاديمية
التي تكتسبها هذه الحقيقة ؟ وما سبب صحتها مع
آخرها " الا حقيقة " ؟